لطائف المعارف [موسى والخضر عليهما السلام]

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له رب الأرض والسماوات وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً أتم الله به الرسالة وختم الله به النبوات صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ،،،،، وبعد

فهذا لقاء متجدد من برنامجكم [لطائف المعارف] ولقاء اليوم يحمل العنوان التالي: (موسى والخضر عليهما السلام) الله تبارك وتعالى في كتابه أخبر عن أنبيائه ورسله وقص علينا بعض أخبارهم حتى يكون في ذلك لنا موعظة وذكرى وهداية ، وموسى عليه الصلاة والسلام غني عن القول أنه كليم الله وصفيه قال له ربه:{يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاَتِي وَبِكَلاَمِي} وهو أحد رسل وأنبياء بني إسرائيل العظام وهو أحد أولي العزم من الرسل كذلك عليهم الصلاة والسلام جميعاً ، هذا النبي الكريم وقف ذات يوم يخطب في بني إسرائيل ويعظهم ومواعظ الأنبياء تصل إلى القلوب ؛ لصدق نيتهم وسلامة معتقدهم وقوة بلاغتهم فأثر في الناس فبكوا ، فلما نزل تبعه رجل من بني إسرائيل فقال: يا موسى هل هناك أحد أعلم منك قال موسى: لا. ولم يرد العلم إلى الله فعاتبه ربه وأخبره أن لي عبداً هو اعلم منك فقال: يا رب كيف لي به؟ فأوحى الله إليه أن يأخذ حوتاً في مكتل فحيثما فقد الحوت فثمّ ، أي: إذا فقدت الحوت فتلك أمارة على وجود ذلك العبد ، فأخذ موسى عليه الصلاة والسلام الحوت في مكتل وأخذ معه غلامه (يوشع بن نون) عليه السلام الذي أصبح فيما بعد نبياً لبني إسرائيل ، خرج موسى عليه الصلاة والسلام ومعه يوشع بن نون ومعه المكتل الذي فيه الحوت سافر سفراً بعيداً حتى وصل إلى مجمع البحرين غلبته غفوة وإذا بالحوت يخرج من المكتل ويسقط في البحر ويضرب عليه البحر مثل الطاق وقد بيّت يوشع أن يخبر موسى بما حدث إذا أفاق من غفوته ، استيقظ موسى نسي الفتى أن يخبره فمضى يواصلان سيرهما لمَ يواصلان سيرهما؟ لأن العلامة بالنسبة لموسى لم تقع فلما تعب موسى وشعر بالنصب قال لفتاه:{آتِنَا غَدَاءنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَباً} هنا تذكر الفتى مسألة الحوت ، فالحوت لم يكن غداءً وإنما لما طلب موسى الغداء ذكّر موسى الفتى بفقد الحوت قال:{أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ} من حولك يخدمك يعتريه النسيان كلنا يقع منا الخطأ والسهو ، فموسى عليه الصلاة والسلام في المنزلة العليا من الخلق لم يثرّب على غلامه ولم يعنّف ماذا فعل؟ قال الله:{فَارْتَدَّا} أي: رجعا – الألف للتثنية- {فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصاً} العاقل يبتعد عن التكلف فهذا نبي لله ومعه فتاه والله يقول:{فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصاً} أي: يقصان

الطريق الذي قدما منه لماذا؟ حتى لا يخطئا وهذا يدل على أن الأرض التي كانوا عليها رملية تقريباً لأن هذا الذي يثبت فيه خطوات المشي وأثر القدم ، قال الله:{فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصاً ** فَوَجَدَا عَبْداً مِّنْ عِبَادِنَا} هو الخضر {آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً} وهذه تزكية من الله لهذا العبد الصالح وقد جاء في الحديث الصحيح حديث ابن عباس عند البخاري أنه كان مغطى –أي الخضر- فوقف موسى على رأسه فقال: السلام عليك. فتعجب الخضر قال: وأنى بأرضك السلام. أي أنها تحية غير معهودة قال:أنا موسى. فسأله الخضر: موسى بني إسرائيل؟ قال:نعم ثم أخبره بما جاء من أجله فتعجب الخضر وقال:إن الله رزقك التوراة لكن موسى أصر على أن يصحبه فاشترط عليه الخضر ألا يسأله عن شيء حتى يُحدث له منه ذكرى ، وإن الإنسان جُبل على أنه لا يستطيع أن يصبر على شيء لا يعرف مداه ولا نهايته قال:{وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً} لكن موسى بقي مصراً فتراضيا على السير واشترط ذلك العبد الصالح ألا يسأله حتى يخبره هو ابتداءً بالأمر ، وقفا على شاطئ البحر مرت سفينة عرفوا الخضر حملوهما من غير نول، من غير نول أي: من غير أجرة ركبا في السفينة فجاء طائر ونقر في البحر ، لما نقر الطائر في البحر قال الخضر لموسى: "ما بلغ علمي وعلمك من علم الله إلا كما أخذ هذا الطائر من البحر". فتأمل أيها المبارك سعة علم الله والله يعلم ما قد كان وما يكون وما هو كائن بل إنه تبارك اسمه وجل ثناؤه يعلم ما لم يكن لو كان كيف يكون فسبحان من وسع علمه مرحمته كل شيء ، بعد قليل وهما يمضيان إذا بالخضر يخرق السفينة يعمد إلى قدّوم يخرقها ويضع مكان الخرق لوحا ؛ اشتاط موسى غضبا نسي الشرط الذي بينهما {قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً} ذكّره الخضر بالشرط: {قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً} فأخبره موسى أنه نسيان: {قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْراً} قال ربنا: {فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ} كل قرية في القرآن بمعنى: مدينة عندما مروا على تلك القرية إذا بالخضر يعمد إلى صبي إلى غلام يلعب مع الصبيان فقتله ؛ اشتاط موسى غضباً كرة أخرى لأن موسى رجل قيادي لا يتحمل أن يرى هذه المنكرات:{قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُّكْراً} ذكّره الخضر بالموعد بالشرط:{قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ} هذه زيادة {إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْراً} ، كأن موسى أراد أن يُلزم نفسه أو أراد أن ينحل من هذا الأمر {قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْراً} قال ربنا:{فَانطَلَقَا} مضيا {فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ} أي الخضر {قَالَ لَوْ شِئْتَ} موسى يعاتب الخضر ؛ لأن هؤلاء قوم لئام لا يستحقون أن تبني لهم الجدار {قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً} أي: ما كان ينبغي لك أن تبني حتى تشترط أجراً نطعم من

خلاله ، ماذا قال الخضر؟ {قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ} ومن هنا تعلم أيها المبارك أن المسلمين على شروطهم فالخضر على علو كعبه ومقامه وصدقه لم يستحيي أن يمضي الشرط فالمسلمون على شروطهم إلا شرطاً أحل حراماً أو حرم حلالاً ، ثم قال:{سَأُنَبِّئُكَ} السين: للمستقبل القريب {سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع} لاحظ أن الفعل هنا ثقيل بالحروف{تَسْتَطِع} لماذا ثقيل؟ ليناسب المبنى المعنى والعرب تقول: (الزيادة في المبنى زيادة في المعنى) هكذا يقول البلاغيون ، والمعنى أن موسى حالته النفسية آن ذاك تسأل عن هذا الأمر الذي يحدث والغرائب التي تكون أمام عينيه والعجب الذي يراه لما بعد لم تحل عقد ما يراه فأتى الخضر بلفظ الفعل ثقيلاً {سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْراً}ثم بدأ يفك طلاسم ما قد كان قال:{أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ} فسماهم مساكين رغم أن السفينة لهم ولهم عمل وعلى هذا يجوز دفع الزكاة لمن كان دخله أقل من مصروفه ولو كان جارك أو أخوك أو أحد الفقراء الذين تعرفه لديه عمل لديه وظيفة لكن ما دامت تلك الوظيفة لا تدر عليه ما يكفي لمثله جاز أن يُعطى من الزكاة بمقدار ما يتساوى مع غيره فيصبح كفافاً لا له ولا عليه ، قال الله جل وعلا:{أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ} {أَرَدتُّ} نسبها الخضر إلى نفسه تأدباً مع الله {فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا} لمَ فعلت ذلك؟ {وَكَانَ وَرَاءهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً} وهنا العاقل يعرف أن الدنيا مصالح ومفاسد ، والعاقل قبل أن يضع قدمه اليمنى لابد أن يجد موطئاً لليسرى ولا يمكن لشيء أن يكون كله مصالح كما لا يمكن أن يكون شيء كله مفاسد ولذلك التريث والروية والسكينة –وهذه ننبه عليها بين الحين والآخر- أمر محمود جداً يرتديه العقلاء ،، يقول أهل التاريخ: "إن (رجاء بن حيوة) وهذا رجاء كان في منزلة عظيمة في دولة بني أمية وزر لعبد الملك ولبنيه من بعده ، وكان سليمان بن عبد الملك رجلاً شديداً ذا قوة وبطش وهو خليفة أموي معروف ابن عبد الملك بن مروان ، ذات يوم جلس رجاء ومعه بعض خواصه يتذاكرون النعم فقال بعضهم لبعض: (إن نعم الله لا يستطيع أحد أن يكافئها) –وهذا حق- وإذا برجل عليه برد واقف على رؤوسهم يقول: (ولا أمير المؤمنين) وهذه كلمة مقحمة لا دخل لها فقالوا: (ولا أمير المؤمنين) ، ثم مضى الرجل فقال رجاء لخواص أصحابه: (أوتيتم من قبل صاحب البرد), أي أن هذا الرجل سيخبر أمير المؤمنين فإذا استحلفكم أمير المؤمنين فأنكروا يعني إذا سألكم فأنكروا وإذا استحلفكم فاحلفوا أن هذا لم يقع خوفاً من بطش سليمان ، سليمان بُلِّغ الخبر أقدم رجاء بين يديه قال: (يا رجاء يُقدح في أمير المؤمنين وأنت تسمع) قال: (أبداً ما كان ذاك يا أمير المؤمنين) فأخبره سليمان بالخبر قال: (ما كان ذاك). فاستحلفه: قال:(آلله يا رجاء). قال: (والله يا أمير المؤمنين). لما اقتنع سليمان أن هذا لم يقع لأن استحلف رجاء فحلف عاد إلى الرجل

الذي نقل إليه الخبر وهو يعتقد أنه كاذب فجلده ونزل الدم من ظهره ، فمر رجاء بن حيوة على الرجل وقد جُلد والدم ينزف من ظهره ، فالرجل يعلم أن الأمر قد وقع وهو يشتاط غضباً فأخذ يقول لرجاء: (ويقولون رجاء بن حيوة). يعني أنا في ريبة من مدح الناس لك علام يعظمونك وأنت تكذب ماذا قال رجاء ذلك العبد الصالح:(نعم يا ابن أخي ، ويقولون رجاء بن حيوة ثمانية أسواط في ظهرك ولا ضرب رقاب المسلمين) يعني تنتهي المسألة إلى أنك أنت تجلد ثم تقوم خير من أن هذا الخليفة يبطش بنا جميعاً ويقتلنا من أجل قضية لم يفهم معناها ولم يدرك مغزاها"

والمقصود: أن الإنسان العاقل يعرف كيف يتصرف في الأحداث والنوازل التي تلم به ،، هنا قال الله جل وعلا:{أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً} فلأن تكون السفينة خرقاء وتبقى لهؤلاء المساكين خيراً لهم من يفقدوها وهي صالحة ، {وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً} أي: أن الله جل وعلا أخبره وأوحى إليه أن لو عُمّر هذا الغلام سيكفر فيكون فتنة لوالديه ؛ ولئن يخسر الأبوان هذا الغلام فيفقدان شيئاً من زينة الدنيا خير لهما من أن يفقدا دينهما ، بقي الجدار {وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً فَأَرَادَ رَبُّكَ} نسب الخير إلى الله لم يقل كما قال في لأول {فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا} لم يقل فأردت أن أهدمه لم يقل فأردن أن يبلغ الغلامان قال:{ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي} ثم ماذا قال؟ قال:{ذَلِكَ} الآن انحلت العقد ذلك الثقل لا حاجة لنا به خفف قال: {ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع} أتى بالتخفيف {ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْراً}

وهنا تنجم فوائد: أنه قد يوجد في المفضول ما ليس عند الفاضل ؛ فالخضر قطعاً ليس أفضل من موسى لكن لديه علم ليس عند موسى ، وكذلك الله جل وعلا قسم الأمور بين عباده ولنبينا القدح المعلى والذروة العليا في كل خير وعلم ، لكن يجب أن يُعلم أن الإنسان أحياناً قد يتعلم الأستاذ من طالبه و يتعلم الشيخ من تلميذه ويتعلم الوالد من ولده هذا كله قد يقع وقد يوجد في النهر ما لا يوجد في البحر وعلى هذا الإنسان يكون حريصاً على التعلم ؛ لأنه إذا رُزق كبراً أو أعطي كبراً أو تلبس بالكبر –بتعبير أوضح أو أصح- تلبس بالكبر حال بين نفسه وبين تهذيبها وتعليمها والأمر كما قال الله:{وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ} ، موسى والخضر خبر عجيب ونبأ غريب أخبر الله جل وعلا عنه ينجم عنه الكثير من المعاني والعطايا التي كل من تدبرها وجد فيها ما لا ينفد من العطايا إلا قليلا ، وهذا من دلائل عظمة هذا الكتاب الذي هو من عند الله

جعلني الله وإياكم من أهل الله وخاصته ،، وهذا ما تيسر إعداده وتهيأ إيراده حول نبأ (موسى والخضر) وصلى الله على محمد وعلى آله

والحمد لله رب العالمين